سلسلة نساء النبى ﷺ
(٤)

الصَّوَّامَةُ القَوَّامَةُ
حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ

رضى الله عنها



تأليف
محمد محمود القاضى

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٥٦١٤/ ٢٠٠٥
الترقيم الدولـي: I.S.B.N
977-265-649-3

دار التـوزيع والنشـر الإسـلامـيـة

مصـر - القاهــرة - السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦
٢٥١ش بور سعيد ت:٣٩٠٠٥٧٢ - فـاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السـيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

فى بيت عمر

صار إسلام عمر حديث الناس فى مكة كلها، فليس عمر بالرجل العادى، وإنما كان شخصية لها قيمتها بين أهل مكة جميعًا ،وأحد وجهائها، فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى من بنى عدى بن كعب، إحدى بطون قريش..

ولقد سُمع النبى ﷺ يدعو الله قبل إسلام عمر بأيام قليلة قائلاً: « **اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب**» واستجاب الله دعاء نبيه فأسلم عمر بن الخطاب.. فكان إسلامه خيرًا وبركة على الإسلام والمسلمين، يقول عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

وكان لعمر وقت إسلامه ابنة كانت قد بلغت الحادية عشرة من عمرها وهى حفصة، لأنهاكانت قد ولدت وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي بخمس سنين وأم حفصة هى زينب بنت مظعون.. أخت عثمان بن مظعون -رضى الله عنه- .. وسرعان ما أسلمت حفصة لمَّا علمت بإسلام أبيها..

زواج حفصة من خنيس بن حذافة

وحدث أن علم المسلمون الذين كانوا قد هاجروا إلى أرض الحبشة بإسلام أهل مكة فرجع بعضهم، حتى إذا اقتربوا من مكة بلغهم أن ما سمعوه من إسلام أهل مكة باطل، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفيًا، وكان من هؤلاء العائدين من الحبشة أحد المسلمين الأوائل وهو خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي، من بنى سهم.

وبعد فترة تقدم خنيس للزواج من حفصة بنت عمر، ولم يجد عمر أى غضاضة فى قبوله زوجًا لابنته ، فقد كان خنيس -رضى الله عنه- يحظى بمكانة كبيرة فى صفوف المسلمين، فقد كان من السابقين إلى الإسلام.. وتم الزواج وعاشت حفصة -رضى الله عنها- مع زوجها خنيس يؤديان دورهما فى الدعوة إلى الإسلام ..

وعندما أذن الرسول ﷺ لصحابته بالهجرة إلى المدينة هاجرت حفصة بصحبة زوجها خنيس إلى المدينة المنورة.

الأرملة الشابة:

وجاءت غزوة بدر، وكان خنيس أحد أبطال الإسلام فى هذه المعركة، وبعدها بفترة وتحديدًا على رأس خمسة وعشرين شهرًا من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة مات خنيس -رضى الله عنه-، وصلى عليه رسول الله ﷺ ودفنه بالبقيع إلى جانب قبر عثمان بن مظعون، ولم يكن خنيس قد رزق بأبناء فى المدة التى قضاها مع حفصة بنت عمر، فأصبحت حفصة أرملة وسنها لم يتجاوز العشرين.. وكان حزنها على زوجها شديدًا مما جعل والدها عمر يفكر فى زواجها مرة ثانية من أحد صحابة الرسول ﷺ حتى يخرجها مما هى فيه من الحزن.



رحلة البحث عن زوج لحفصة:

شُغل عمر بابنته حفصة وخاصة لما رأى حزنها الشديد على زوجها خنيس.. فأخذ يفكر فى أحد صحابة النبى ﷺ ليزوجه من حفصة.. وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد فقد زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ قريباً من الوقت الذى مات فيه خنيس زوج حفصة.. فعزم عمر أن يعرض على عثمان حفصة ليتزوجها.. وخاصة أنه يعانى ألم فراق زوجته، وربما يكون محتاجاً إلى زوجة.. فقابله وذكر له رغبته تلك.. فطلب منه عثمان أن يمهله بعض الوقت ليفكر فى الأمر.. وبعد عدة ليال لقى عثمان عمر وقال له: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

لم ييأس عمر وذهب إلى أبى بكر الصديق وعرض عليه أن يتزوج حفصة.. ولكن أبا بكر صمت ولم يقل شيئًا لعمر.. فغضب عليه عمر.. وذهب إلى رسول الله ﷺ ليشكو له ما حدث مع عثمان وأبى بكر. فقال له النبي ﷺ: ألا أدلك على ختن هو خير من عثمان، وأدل عثمان على ختن هو خير له منك.

فتعجب عمر وقال: بلى يا رسول الله، فتزوج النبي ﷺ حفصة، وزوج عثمان ابنته أم كلثوم -رضى الله عنها-.

وفرح عمر فرحًا شديدًا بهذا الأمر.. وطابت نفسه.. وكان دخول النبى ﷺ على حفصة في شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من هجرته إلى المدينة وقبل غزوة أحد بشهرين.

وبعد أن تم زواج النبي ﷺ من حفصة قابل أبو بكر عمر فقال له: لعلك وجدت (غضبت) عليَّ حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئًا. قال عمر: نعم. قال أبو بكر: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد

كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها.

حفصة فى بيت النبى ﷺ:

وبنى رسول الله ﷺ حجرة لحفصة تطل على مسجده الشريف إلى جوار حجرتى عائشة وسودة -رضى الله عنهن-.

وحظيت حفصة بمكانة كبيرة عند رسول الله ﷺ، تقول السيدة عائشة عن مكانة حفصة عند النبى ﷺ: هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ.

ولم تشغل حفصة نفسها من أنها تزوجت النبى ﷺ على ضرائر لها.. فزواجها من رسول الله ﷺ قد رفع منزلتها وأعلى قدرها، وشرفها بأن صارت أمًّا للمؤمنين.. إلا أنها كانت تعجب أحيانًا من حب الرسول ﷺ الشديد لعائشة وربما كانت تغار من هذا الأمر أحيانًا أخرى.. فذات مرة خرجت حفصة وعائشة مع رسول الله ﷺ فى سفر .. وكان النبى ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك تنظرين وأنظر. فقالت عائشة: بلى.



فركبت عائشة بعير حفصة.. وركبت حفصة بعير عائشة.. فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم عليها ثم سار معها حتى نزلوا فى منزل.. وافتقدت عائشة رسول الله ﷺ.. ودبت الغيرة فى قلبها..فجعلت رجليها بين الإذخر (نبات صحراوى) وتقول يا رب سلط عليَّ عقربًا أو حية تلدغني، رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئًا.

إن الحياة فى جو النبوة فى بيوت رسول الله ﷺ لم تكن لتقضى على المشاعر البشرية، والهواتف البشرية فى نفوس زوجاته -رضى الله عنهن- فقد يبدر منهن أو يشجر بينهن ما لابد أن يشجر فى قلوب النساء فى مثل هذه الحال..

وحدث أن السيدة زينب بنت جحش كان عندها بعض العسل فكان النبى (يذهب إليها ويمكث عندها ويشرب عندها العسل -فقد كان النبى ﷺ يحب العسل- فدبت الغيرة فى قلب عائشة.. فتواطأت عائشة وحفصة على أيتهما دخل عليها رسول الله فلتقل له: أكلت مغافير (نوع من العسل حلو الطعم كريه الرائحة). إنى أجد منك ريح مغافير -وكان النبى ﷺ يكره أن تشم منه رائحة غير طيبة-.

وحدث أن دخل النبى ﷺ على حفصة فقالت له ما اتفقت عليه من الكلام مع عائشة.. فقال النبى ﷺ: لا. ولكنى كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له.

وأسرعت حفصة إلى عائشة وحكت لها ما حدث بينها وبين رسول الله ﷺ، فأطلع الله رسوله ﷺ على الأمر.

وحدث أن النبى ﷺ وطئ جاريته مارية فى بيت حفصة فغضبت حفصة وعدتها

إهانة لها .. فوعدها النبى بتحريم مارية وحلف بهذا وكلفها كتمان الأمر.. فأخبرت به عائشة.. فغضب النبى ﷺ على حفصة.

حفصة ومحنة الطلاق من رسول الله ﷺ:

وحدث أن طلق النبى ﷺ حفصة تطليقة .. فبلغ ذلك عمر فحثا على رأسه التراب وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته..

ودخل عليها خالاها قدامة وعثمان، فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع (تقصد أنه طلقها غضبًا عليها من بعض تصرفاتها وليس كرهًا لها أو شبعًا منها) فنزل جبريل من الغد وقال للنبي ﷺ: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر -رضي الله عنهما-.

وفى رواية أخرى: إن جبريل أتاني فقال لي: أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة.

فقد كانت -رضى الله عنها- عابدة طائعة كثيرة الصوم لدرجة أنها قلما رؤيت مفطرة..

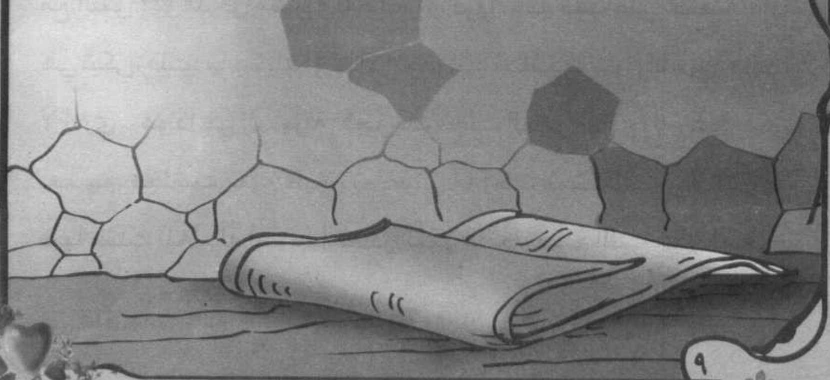
قصة هجر النبى ﷺ زوجاته:

كانت هذه المواقف المتكررة من نساء النبى ﷺ باعثها الغيرة بينهن.. فكان لا بد من درس فيه حزم وفيه صرامة يرد الأمور بين أزواجه إلى نصابها، ويدع له طمأنينة التفكير فيما فرض الله عليه من الدعوة إلى رسالته. وليكن هذا الدرس هجرهن والتهديد بفراقهن، فإن ثبن إلى رشادهن فذاك، وإلا متعهن وسرحهن سراحًا جميلاً.

وانقطع النبى ﷺ عن نسائه شهرًا كاملاً لا يكلم أحدًا فى شأنهن، ولا يجرؤ أحد أن يفاتحه فى حديثهن، واتجه النبى ﷺ بتفكيره خلال هذا الشهر إلى ما

يجب عليه وعلى المسلمين للدعوة إلى الإسلام، ولمد سلطانه إلى ما وراء شبه الجزيرة، على أن المسلمين جميعًا كانوا فى قلق أشد القلق على ما قدر مصيرًا لأمهات المؤمنين، وخاصة عمر أن ابنته حفصة كانت قد مرت بموقف صعب عندما طلقها الرسول ﷺ ثم راجعها.

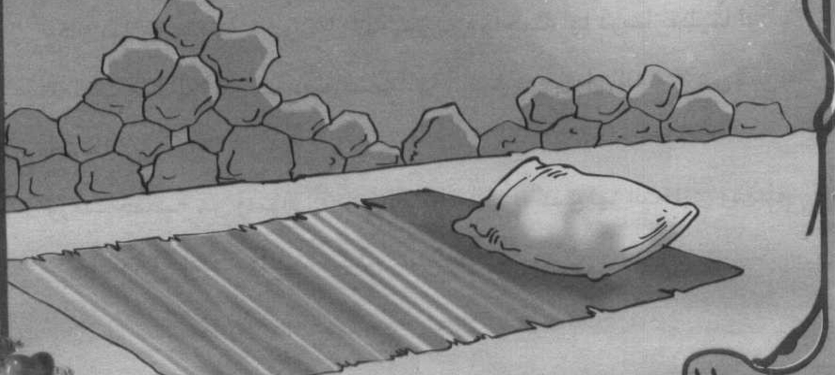
فعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: ثم لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر -رضي الله عنه- عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ (التحريم:٤)، فحججت معه، فعدل وعدلت معه بالإداوة (إناء يوضع فيه الماء) فتبرز حتى جاء فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله -عز وجل- لهما: (إن تتوبا إلى الله) فقال: واعجبي لك يا بن عباس، عائشة وحفصة. ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد- وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثله وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساء الأنصار، فغضبت يومًا



على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولِمَ تنكر أن أراجعك؟! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني.. فقلت خابت من فعل منهن بعظيم، ثم جمعت عليَّ ثيابي فدخلت على حفصة، فقلت: أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم. فقلت: خابت وخسرت،أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكين.. لا تستكثري على رسول الله ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، واسأليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك (يقصد عائشة) هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله ﷺ .

وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال لغزونا، فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضربًا شديدًا، وقال أنائم هو؟ ففزعت فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم. قلت: ما هو.. أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم منه وأطول. طلق رسول الله ﷺ نساءه. قال عمر :قد خابت حفصة وخسرت، كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت عليَّ ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل مشربة له فاعتزل فيها.. فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، قلت: ما يبكيك أو لم أكن حذرتك! أطلقكن رسول الله ﷺ قالت: لا أدري.. هو ذا في المشربة. فخرجت فجئت المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي هو فيها فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر فدخل فكلم النبي ﷺ ثم خرج

فقال: ذكرتك له فصمت. فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين ثمَّ المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت، فذكر مثله فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر فذكر مثله، فلما وليت منصرفًا فإذا الغلام يدعوني، قال: أذن لك رسول الله ﷺ فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من آدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: طلقت نساءك؟ فرفع بصره إلي فقال: لا. ثم قلت وأنا قائم أستأنس: يا رسول الله، لو رأيتني وكنَّا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فذكره.. فتبسم النبي ﷺ ثم قلت: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ يريد عائشة. فتبسم أخرى.. فجلست حين رأيته تبسم ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئًا يرد أهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم



لا يعبدون الله، وكان متكئًا فقال: أو في شك أنت يا بن الخطاب.. أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا. فقلت: يا رسول الله استغفر لي. فاعتزل النبي ﷺ من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة، وكان قد قال:ما أنا بداخل عليهن شهرًا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرًا وإنَّا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عدًّا. فقال النبي ﷺ : الشهر تسع وعشرون. وكان ذلك الشهر تسعًا وعشرين.. قالت عائشة: فأنزلت آية التخيير ،فبدأ بي أول امرأة فقال:إني ذاكر لك أمرًا، ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك. قالت قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك.. ثم قال: إن الله قال: يا أيها النبي قل لأزواجك... إلى قوله عظيمًا ،قلت أفي هذا أستأمر أبوي؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ،ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة.

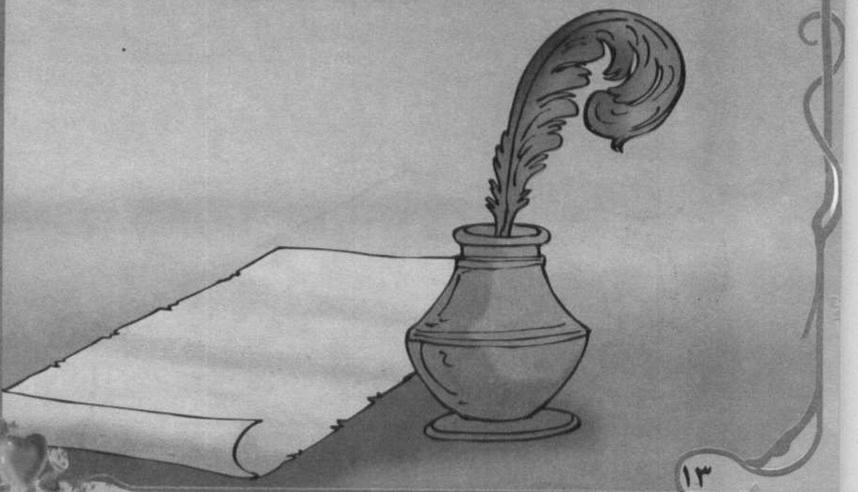
حفصة تتعلم:

وكان طلاق حفصة من رسول الله ﷺ ثم مراجعته لها درسًا عظيمًا لها.. فتعلمت منه الكثير، فلم يعلم عنها أنها أغضبت رسول الله ﷺ فى شىء بعد ذلك..

وروت حفصة عن رسول الله ﷺ ستين حديثًا، اتفق لها البخارى ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم بستة أحاديث.

وكانت حفصة -رضى الله عنها- حريصة على التعلم، فقد تعلمت الكتابة من الشفَّاءْ بن عبدالله القرشية.. ولما رأى الرسول ﷺ حرصها على التعلم طلب من الشفاء أيضًا أن تعلمها رقية النملة وهى رقية كانت تحسنها.

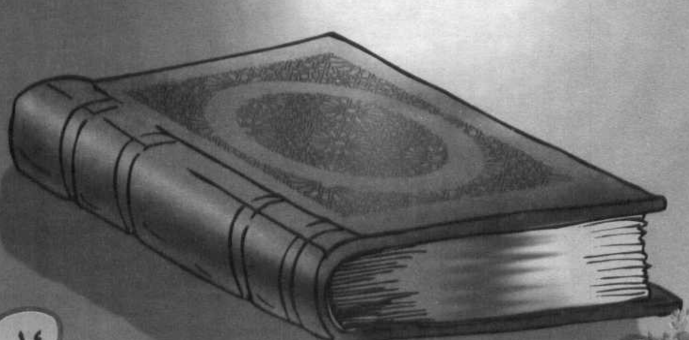
وقْصة ذلك: أن رجلاً من الأنصار نَمِلة خرجت به (وهى قروح تخرج فى الجنب وسميت كذلك لأن صاحبه يحس فى مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه) فدل أن الشفاء بنت عبد الله -رضى الله عنها- ترقي من النملة، فجاءها فسألها أن ترقيه، فقالت: والله ما رقيت منذ أسلمت.. فذهب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي قالت الشفاء، فدعا رسول الله ﷺ الشفاء فقال: اعرضي عليَّ فعرضتها عليه.. فقال: ارقيه وعلميها حفصة كما علمتيها الكتابة.



والرقية هى: بسم الله صَلْتٌ حين يعود من أفواهها ولا تضر أحدًا (دعاء بأن يرد الله بأسها، والصلت هو السيف): اللهم اكشف البأس رب الناس. ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانًا نظيفًا ثم تدلكه على حجر بخل وتطليه على النملة.

حفصة حافظة المصحف:

أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- بجمع القرآن، مخافة أن يموت أشياخ القراء كأُبى وابن مسعود وزيد، فندبا زيد بن ثابت إلى ذلك فجمع المصحف مرتب السور بعد تعب شديد رضي الله عنه، وحفظ المصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، فوضع عند عمر حتى توفاه الله، ثم وضع عند حفصة بنت عمر.. ولما أراد عثمان أن يجمع الناس على مصحف واحد أرسل إليها يطلب المصحف لينسخ منه نسخًا ويوزعها على الأمصار، فأرسلته إليه ثم أعاده إليها بعد أن نسخ منه.



حياة حفصة بعد وفاة النبى ﷺ:

لزمت حفصة بيتها بعد وفاة النبى ﷺ.. وتفرغت للعبادة والطاعة، وخرجت للحج أكثر من مرة..

وعاشت حفصة فترة خلافة أبيها عمر.. وشهدت انتصارات المسلمين فيها.. وربما رجع إليها والدها عمر يستشيرها فى أمر أو شىء ما، فقد روى الإمام مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال: خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه   وأرقنـي ألا خليـل ألاعبـه
فوالله لـولا الله أنـي أراقبه   لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة -رضي الله عنها-: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟

فقالت: ستة أشهر أو أربعة أشهر.

فقال عمر: لا أحبس أحداً من الجيوش أكثر من ذلك.

وروعت حفصة بمقتل أبيها الفاروق عمر -رضى الله عنه- فى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وروعت كذلك بمقتل الخليفة عثمان بن عفان -رضى الله عنه-، ولما أرادت عائشة أن تخرج مع الذين نقضوا بيعة علىّ عزمت على حفصة أن تخرج معها، وهمت حفصة بالخروج لولا أن أخاها عبد الله بن عمر رضي الله عنه نصحها بعدم الخروج والبعد عن مواطن الفتن، فقد كان ابن عمر من الذين اعتزلوا الفتنة، فاستجابت له ولزمت بيتها.

وفاتها:

وتوفيت حفصة -رضى الله عنها- سنة إحدى وأربعين، عام الجماعة، وقيل: توفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة المنورة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، وكانت قد تجاوزت الستين من عمرها.. وصلى عليها والي المدينة مروان بن الحكم، وتبعها مروان إلى البقيع وجلس حتى فرغ من دفنها، وكان مروان قد اشترك فى حمل نعشها من عند دار بني حزم إلى دار المغيرة بن شعبة.. ثم حمله أبو هريرة -رضى الله عنه- من دار المغيرة إلى قبرها بالبقيع.. ونزل فى قبرها عبد الله وعاصم ابنا عمر وسالم وعبد الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر، فرضى الله عنها وأرضاها.

